

**العلاقات السياسية والعسكرية بين بلاد المغرب
وبلاد الحجاز بين القرنين السابع والتاسع الهجريين /
الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين**

إيمان سعدي هوبي

iyman.saady1106a@coart.uobaghdad.edu.iq

أ.د. صباح خابط عزيز

sabahkhabut@coart.uobaghdad.edu.iq

العلاقات السياسية والعسكرية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز
بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين

إيمان سعدي هوبي

أ.د. صباح خابط عزيز

المخلص :

المطالع لصفحات التاريخ الإسلامي يرى أن معظم البلدان والأقطار تسعى غالباً لإقامة علاقات طيبة مع القوى السياسية المتعددة والدول الأخرى ، ولذلك من الطبيعي أن نلاحظ أن السلطة الحاكمة في بلاد المغرب كانت تحرص دائماً على إقامة علاقات طيبة مع بلاد الحجاز ، على الرغم من وجود المسافة الشاسعة وبعد الجوار ، وكيف لا وبلاد الحرمين الشريفين بقعة مباركة ، فهي مهوى الأفئدة ومحط الأنظار ، وفيها البيت العتيق ، والمسجد النبوي الشريف ، ناهيك عن العقيدة الراسخة التي نشأت في قلوب الخلفاء والسلاطين والأمراء على مر العصور والأزمان ، ولم يكن هذا من أهم أسس الإستقرار في الحكم وحسب ، بل ولكسب قلوب عامة الناس وبالتالي في إقامة علاقات حسنة مع حكام الحجاز ، لأجل إضفاء الصبغة الدينية على شرعية الحكم في أي بلد ، فضلاً عن رغبة الحكام في الإطمئنان على ركب الحج وسلامة وصوله وضمان عدم الإساءة لهم .

الكلمات المفتاحية : العلاقات السياسية والعسكرية - بلاد المغرب - بلاد الحجاز - الحج

The political and military relations between the countries of Morocco and the countries of Hijaz between the seventh and ninth centuries AH / the thirteenth and fifteenth centuries AD

Abstract :

Those who read the pages of Islamic history believe that most countries and countries often seek to establish good relations with multiple political forces and other countries, and therefore it is natural to note that the ruling authority in the countries of the Maghreb was always keen to establish good relations with the country of Hijaz, despite the presence of the vast distance and after the neighborhood, and how not and the country of the Two Holy Mosques is a blessed spot, it is the ventilation of the interest and the focus of attention, and in which the house Al-Ateeq and the Noble Prophet's Mosque, not to mention the established doctrine that arose in the hearts of the caliphs, sultans and princes throughout the ages and times, and this was not only one of the most important foundations of stability in government, but rather to win the hearts of the common people and thus in establishing good relations with

العلاقات السياسية والعسكرية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين

the rulers of the Hijaz, in order to give the religious character the legitimacy of government in any country, as well as the desire of rulers to check And the safety of his arrival and ensuring that they are not offended

Keywords: political relations and return - Maghreb countries - Hijaz countries - Hajj

المقدمة :

إن إعتناء سلاطين وحكام بلادي المغرب والأندلس بركب الحج والإهتمام به لم يأت من دون سبب , لذلك بذلوا في سبيل نجاحه كل غالٍ ونفيس عبر بذل المال وتمهيد الطرق وتأمينها ووضع الدليل المناسب مع الحجيج وكذلك إقامة حفلات توديع وإستقبال للحجاج , كما قاموا بتبادل الرسائل والهدايا مع أشراف الحجاز , لشكرهم على ما يبذلونه لإنجاح مواسم حج المغاربة والأندلسيين في البقاع المقدسة (المنوني، ٢٠٠٠: ص ص ١٧٢-١٧٣) .

وخلاصة القول أن تعدد الدويلات الحاكمة في بلاد المغرب أعطتهم فرصة كبيرة على أن يجتمعوا ويتحدوا على هدفٍ أسمى يتعلق بمد جسور الثقة والمحبة بينهم وبين أمراء الحجاز , والشيء الأهم أن بلاد الحجاز بادلت هذا التواصل والعلاقة بالمودة والإحسان.

أشارت النصوص وفي مصادر متنوعة ومتعددة ما بين كتب التاريخ العام أو كتب الرحلات سواء كانت مغربية أو أندلسية وشروحاتها من كتب أدب الرحلات , وليس هذا وحسب بل ويمكن أن تكون الكتب الفقهية والعقائدية لها أثر طيب في إبراز طبيعة ونوع تلك العلاقات الوطيدة بين المغاربة وأمراء الحجاز والتي بطبيعة الحال لم تكن مجرد علاقات سياسية وعسكرية وحسب بل تجاوزتها إلى علاقات أخرى كأن تكون دبلوماسية على مستوى عالٍ وغيرها من العلاقات التي لا تخلو منها أي بلدان أخرى .

هذه العلاقات كانت نابعة بالتأكيد من طريق إهتمام المغاربة ببلد المقدسات بلد الحجاز لما له من مكانة مقدسة في نفوس المسلمين كافة لذلك حرصوا على الإحتفاظ بسمعة طيبة في البلاد المقدسة ونجحوا في ذلك عن طريق تبادل السفراء وتقديم الهدايا والهبات لأمراء اشراف الحجاز وتزويد أمراء الركب برسائل تسلم إلى أمراء الحجاز لتقديم المساعدة لهم (الفشتالي، ١٩٧٢: ص ص ١٨٧-١٨٨) , وفي مقابل ذلك قبول هداياهم والترحيب بهم وإستقبالهم من قبل أشراف الحجاز , وقد إنتظمت هذه السفارات المغربية نحو بلاد الحجاز منذ أواخر القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي , في عهد السلطان أبي يعقوب المريني الذي بويع في عام (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) , وبهذا فقد إزدادت الصلات وحصول التعاون فيما بينهم وتعهد أهل الحجاز بحماية ركب الحجيج المغربي , فمثلاً عند نزول الركب المغربي في ينبع يخرج

أشرافها لإستقبالهم وتهنئتهم بسلامة الوصول وتقديم كافة التسهيلات لهم (الشاهدي، ١٩٩٠: ص ١١٧) ، والدلائل تشير إلى أن الحجاز شهدت تدفق للوجود المغربي بشكل وحضور متميز كان له أثر في تقدم وتطور العلاقات بين الجانبين وإزدهارها خلال المدة قيد الدراسة .

أولاً- أثر السفارات والعلاقات الدبلوماسية في توثيق العلاقات السياسية بين دويلات المغرب الإسلامي وبلاد الحجاز :

شهد العصر الموحد علاقات سياسية بين سلاطين بلاد المغرب وأشراف بلاد الحجاز ، فهناك إشارات قد وردت بهذا الصدد نستطيع أن نستشف منها على وجود أواصر وعلاقات سياسية جيدة وحسنة ، وكما نستدل منها تأكيدهم على الإستمرارية في رعايتهم واهتمامهم وتنظيمهم لركب الحج الذي يعد إحدى وسائل الإتصال الدبلوماسي في تمتين العلاقات السياسية فكان أول ركب حج مغربي هو الركب الصالحي الذي نشأ على يد أحد أعلامها أبي محمد صالح بن ينصار بن غفيان الماجري (ت ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م) (القسنطيني والمنوني ، ١٩٦٥: ص ص ٦١-٦٢) .

وأما في عصر الحفصيين هناك إشارة أخرى أوردها ابن خلدون مفادها أن سلاطين الحفصيين أرسلوا سفارة إلى السلطات الحاكمة في بلاد الحجاز من أجل إنجاح ركب الحج إذ قام سلطان تونس الحفصي أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان أبي العباس والملقب بالمتوكل (٧٦٣ - ٨٣٧ هـ / ١٣٦١ - ١٤٣٣ م) (ابن الشماخ ، ١٩٨٤: ص ص ١١٢-١١٣)، بإرسال هدايا قيمة من جياذ الخيل مع أحد رسله وهو من كبار الحفصيين المدعو أبو محمد بن تافراكين (الزركشي وآخرون، ١٩٦٦: ص ١٠١) ، فرحبوا بهم وعندما حضر وقت خروج الحج إستندنوا في الحج مع محمل السلطان فأذن لهم وقضوا حجهم (ابن خلدون والزركشي ، ٢٠٠٠: ص ٧١٤) ، وهذا يؤكد بوجود علاقات ودية وحسنة بينهم .

وفي العصر الحفصي نشأت علاقات سياسية حسنة ما بين الحفصيين وأشراف الحجاز عن طريق ما قام به رجال الصوفية من مواقف سياسية في تمتين العلاقات السياسية كابن سبعين (ت ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م) (الغبريني وآخرون، ١٩٧٩: ص ص ٢٣٧-٢٣٨) ، الذي إنتقل إلى مكة مجاوراً إلى أن توفي فيها ، إذ قام ابن سبعين بعمل سياسي محدد لا نعلم تفاصيله ولكننا نعلم نتيجته التي انتهت بإرسال شريف مكة أبو نمي محمد الأول (٦٥٢ - ٧٠٢ هـ / ١٢٥٤ - ١٣٠٢ م) (ابن خلدون وآخرون ، ٢٠٠٠: ص ٤٠٧)، سفارة إلى المغرب تتضمن رسالة نصت على البيعة ، إذ تم فيها مبايعة السلطان أبو عبد الله محمد بن زكريا يحيى بن عبد الواحد الملقب بالمستنصر (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ / ١٢٤٩ - ١٢٧٦ م) أمير تونس وخطبوا له ، وهذا ما يرتبط مباشرة بابن سبعين الذي كتب بنفسه هذه البيعة الأمر الذي يوحي بدوره

العلاقات السياسية والعسكرية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين

السياسي ، والذي يوحي أيضاً بتقلب الأدوار السياسية التي إتخذها ، وقد يكون هذا التقلب مصاحباً بل موازياً للتقلب الذي عاشه أبي نمي أيضاً (ابن خلدون وآخرون ، ٢٠٠٠: ص ٤٠٧) ، وقد عين أبي محمد بن برطلة الإشبيلي سفيراً لإيصالها (الإشبيلي والقسنطيني ، ١٩٨٩: ص ١٠٩) ، وعدت هذه السفارة من أكبر آمال المستنصر وأحبها إليه ، فكان لهذه البيعة الأثر الكبير إذ زادت من مكانة الدولة الحفصية وأكسبتهم شرعية الخلافة وأصبحوا حماة الحجاز ومقر الحرمين الشريفين (ابن خلدون وآخرون ، ٢٠٠٠ : ص ٤٠٧) ، وعلى إثرها أصبح السلطان أبي عبد الله المستنصر يلقب بأمر المؤمنين (ابن الشماخ ، ١٩٨٤ : ص ٦٧) ، وقد جاء نص البيعة بحسب ما ذكر ابن خلدون بأنها إفتتحت بالبسملة والصلوات على الرسول وعلى آله وأصحابه ، وبآيات الأولى من سورة الفتح وبعدها جاء فيها : " هذا النوع من الفتح أعني المبين هو من كل الجهات داخل الذهن وخارجه ، وهو الذي خصت به مكة ... فمن فتح عليه بفتح مكة تمت له النعمة ، ورفعت له الدرجة ، وضفت عليه الرحمة ، ومن وصل سلطانه إليها فقد هدي الرشيد وسار على صراطه ، ورجع ميزان ترجيحة على أقرانه وأرهاطه ، ومن حرم من هذا فقد حرم من ذلك ، والأمر هكذا وسنة الله كذلك وصلى الله على رسوله الذي طلع المجد من مدينته بعدما أطلعه من بلده " (ابن خلدون ، ٢٠٠٠: ص ص ٤٠٧-٤٠٨) .

ومما تقدم نستشف أن من بايعه أمير مكة فهو الأحق بالبيعة من بين كل حكام المسلمين من المشرق والمغرب ، وقد كانت هذه البيعة فتحاً عظيماً للدولة الحفصية إذ أنهم من خلالها سيصبحون خداماً للحرمين الشريفين الذين ستصبح بيدهم السلطة الدينية ، ولم يقتصر الأمر على ذلك وحسب وإنما تعداها الى المغرب والأندلس غرباً وبذلك أصبحت الدولة الحفصية بعهد المستنصر قوة مرهوبة الجانب وأصبحت تونس حاضرتها وقد وفده عليها كبار رجال السياسة من شتى بقاع الأرض من أجل كسب ود الخليفة المستنصر .

وقد تضمنت نصوص البيعة على الإعراف بأحقية الخلافة وهذا ما أكده ابن خلدون بقوله : " وقد قيل أن الملة الحنفية المضرية تنصرها السيرة العمرية المحمدية المستنصرية ، ولعل الذي اقام الدين وأطلعه من المشرق وأتلفه منه ، يجيره من المغرب ولا ينقله عنه ، فينبغي لمن آمن بالله وملائكة وكتبه ورسوله ، وبما يجب أن لا يتغير قصده ولا يتوقف عند سماع المهلكات حمده ، ... ، سنته محمدية ، وسيرته بكرية ، وسريته علوية ، وسلالته عمرية ، فهذه ذرية وأنواع مجد بعضها من بعض ، ... ، عرف بالرياسة العالية ووصف بالنفاسة السالية ، وشهد له بذلك الخاص والعام ونزه من النقائص ... " (ابن خلدون والزرکشي ، ٢٠٠٠: ص ص ٤٠٩-٤١١) ، ثم أختتمت البيعة للخليفة المستنصر الحفصي بعبارات الوقار والأحترام وكتب فيها المكان الذي كتبت فيه البيعة دون الإشارة الى التاريخ وهذا ما لمح

العلاقات السياسية والعسكرية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين

إليه ابن خلدون بقوله : " ومعاد التحية على المقام الرفع ، والمقر الانفع ، وعلى خدام حضرته عليه ، وأرباب دعوته الجليلة ، وأنواع رحمته تعالى وبركاته ، والحمد لله كما يجب ، وصلى الله على نبيه محمد وعلى آله وسلم ، كتب تجاه الكعبة المعظمة في الجانب الغربي من الحرم الشريف ، والحمد لله رب العالمين " (ابن خلدون، ٢٠٠٠، ص ٤١٦).

انتشرت هذه البيعة بين دول العالم الإسلامي ، وكانت دافعاً كبيراً بأن يرسل سلاطين دويلات المغرب البيعة للخليفة المستنصر الحفصي من قبل بني زيان بمدينة تلمسان ، والمرينيين بمدينة فاس ، فضلاً عن وصولها من قبل بني نصر سلاطين غرناطة ، وقد كان لهذه البيعة تأثير كبير بين سلاطين بلاد المغرب وأشرف بلاد الحجاز " (ابن خلدون وآخرون، ٢٠٠٠، ص ٤١٦) ، فهي جوهر الاعتراف بالآخر على الصعيد السياسي والتي كانت مقصداً مهماً في تجديد العلاقات بينهم .

ومن الحري بنا أن نشير إلى أن إهتمام سلاطين العهد الحفصي بركب الحج عن طريق مشاركة رجال البلاط في قافلة الحج ، كان له أبعاد سياسية متعددة وعنصراً فاعلاً في العلاقات السياسية الحجازية والحفصية ، وهو ذات العمل الذي قام به السلطان الحفصي أبو فارس عبدالعزيز (٧٦٣ - ٨٣٧ هـ / ١٣٦١ - ١٤٣٣ م) بالتعاون مع السلطات الحاكمة في الحجاز والمتمثلة بالسهر على أمن الحجيج ، بعدما حصل للقافلة المغربية من نهب من قبل قطاع الطرق في بلاد الحجاز في سنة (٨٠٠ هـ / ١٣٩٨ م) ، وصار الأمر أكثر فاعلية عندما ذكر الخطيب الرسمي لحجيج جبل عرفه وأكد على أن السلطان أبي فارس من بين أكبر ملوك الإسلام مما جعل حجيج إفريقية يشعرون بهذا الشرف الذي ناله سلطانهم (القلقشندي وبرنشفيك ، ١٩١٥ : ص ٢٥٠) .

وليس هذا فحسب بل أن ركب الحج كان له أثراً كبيراً في توثيق العلاقات الودية فيما بينهم عن طريق إرسال ركب الحج في عام (٨٧٧ هـ / ١٤٧٣ م) الذي رافقه قاضي الجماعة بتونس مع إحدى زوجات السلطان الحفصي أبو فارس وإسمها رابحة ابنة المرابط ، فضلاً عن مرور قافلة للحجيج بالمكان نفسه بمصر باتجاه البقاع المقدسة في سنة (٨٨٩ هـ / ١٤٨٤ م) بسبب كثرة عدد الحجيج بصورة غير عادية ، ربما بسبب التحولات السياسية في الحجاز (برنشفيك ، ١٩٨٨ : ص ٣٠٥) .

في عصر بني زيان بات الإهتمام الكبير واضحاً بركب الحج الذي يعد أحد وسائل الإتصال الدبلوماسي ، فبذلوا في سبيل إنجاحه كل ما يستطيعونه من المال وأقاموا دليل لركب الحجيج المغاربة ، فضلاً عن تقديمهم أسمى آيات الشكر لأشرف الحجاز على ما يبذلونه من جهود بهذا الشأن (القلقشندي، ١٩١٥ : ص ٨٦-٨٧) ، إذ كان يغمراسن بن زيان على علم بمجريات الأحداث التي كانت تحيط ببلاد

العلاقات السياسية والعسكرية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين

الحجاز ، عن طريق توافد أفواج الحجيج المغاربة بشكل مستمر على البقاع المقدسة ، إذ أشار العبدري في رحلته إلى ما قام به الأمير الزياني صاحب تلمسان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن (٦٨١ - ٧٠٣ هـ / ١٢٨٢ - ١٣٠٣ م) بمنحه الحجاج ديناراً واحداً رغم الأزمة المالية التي كانت تمر بها الدولة ، وهذا دليل إهتمامهم بالركب على الرغم من أنه كان غير رسمي (البلنسي، ٢٠٠٧: ص ٢٧) . في شهر ربيع الأول من عام (٧٢٤ هـ / ١٣٢٤) قام أهل مدينة تلمسان بتنظيم ركب الحج الخاص بهم برئاسة الأمير أبي زكريا يحيى بن عمر بن جدار العبد الوادي من سكنة مدينة فاس ، يرافقهم ابن مرزوق الوالد وأبو عبد الله الجراوي من أهل طنجة والفقير أبو عمر ميمون بن يوسف بن عبدالرحمن من أهل مدينة تلمسان (التلمساني، ٢٠٠٨: ص ٣٠١) .

هناك أدلة وشواهد أيضاً على ذلك الإهتمام بركب الحج على ما قام به الأمير عثمان بن يغمراسن إذ أرسل خطاب ، قامت زوجته بحمله إلى سلطان تونس أبي إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى بن أبي بكر بن عبد الرحمن المستنصر الملقب بالمجاهد (٦٧٨ - ٦٨٣ هـ / ١٢٧٩ - ١٢٨٤ م) ووصيته بحرم أمير مدينة تلمسان المصاحبة لركب الحج الزياني والتي مفادها : " فأن هذا الكتاب يتأدى إلى الباب الكريم أيده الله منيد عبده والده عبده تلاوماتن أبنة مجن (ابن خلدون وعامر، ١٩٠٣: ص ١٩٠) حفظها الله توجهت إلى الحضرة الكريمة برسم أداء فرض الحج يسر الله مرامها ولما يلزم من حق الوالدة ويرجى للابن توفية برها من جزيل الفائدة ، رأى العبد أن ينبه حضرتكم العلية عليها ، ويستوهب من كريم رعيكم واحترامكم ما يقود الظفر ببغيتها إليها... "(المرسي، ٢٠٠٨: ص ١٥٧-١٥٨) ، وهذا دليل واضح على مدى إهتمام الأمير الزياني عثمان بن يغمراسن ومبالغته في هذه الوصية بركب الحج للسلطان الحفصي ، مما يجعلنا نميل الى أن الوفد قد كان يحمل معه رسالة أخرى للسلطات الحاكمة في الحجاز .

فضلاً عما تقدم فأن سلاطين بني زيان كان لهم إلتفاتات أخرى في هذا الشأن تجسدت في إرسالهم للقصائد النبوية إلى الديار المقدسة مع ركب الحج تقرأ بالمسجد النبوي على المرقد النبوي الشريف (ﷺ) وكانت على شكل رسائل نثرية أو قصائد شعرية فضلاً عن رسائل أخرى مضمونها طلب الثواب والغفران ، وهذا ما عمله بالتحديد السلطان أبو حمو موسى الثاني (٧٦٠ - ٧٨٩ هـ / ١٣٥٨ - ١٣٨٧ م) (ابن الأحمر والفيلاي، ٢٠٠١: ص ٧٦-٧٧) ، عندما أُلّف قصيدة بهذا الشأن وأمر بإرسالها إلى الحرمين الشريفين مع رسالة يطلب فيها الأجر والثواب وتيسير الأسباب (الفيلاي والمنوني، ٢٠٠٢: ص ٢٣) .

والخلاصة أن بنو زيان شأنهم شأن ممن سبقهم كانوا على حرص كبير وإهتمام بالغ وتوجه خالص وتأکید واضح على تمتين العلاقات مع بلاد الحجاز عن طريق هذه الرحلات للحج للحرمين الشريفين وما

العلاقات السياسية والعسكرية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين

تتضمنه من تبادل للرسائل ، وكل هذا أُستغل أفضل إستغلال من أجل خلق الفرص لتدعيم الروابط السياسية والتلاقح الحضاري بصورة واضحة بين الجانبين .

في العصر المريني كانت الدولة قد ورثت كل ما هو موحدٍ أي أنها خلفت الدولة الموحدية وبالتالي فإن علاقاتها وصلاتها بأهل الحجاز تعد إمتداداً طبيعياً لما قد تم حصوله من تبادل للسفارات وتقارب الرؤى في إيجاد الحلول المناسبة للمشاكل الطارئة التي قد تحصل بين وقت وحين ، وعليه فإن الدولة المرينية كانت قد شهدت إقامة علاقات واسعة مع بلاد الحجاز تمثلت في تحسين علاقاتهم مع أشرف الحجاز لما فيها من مصالح تخدم الجانبين ، فقاموا بإرسال الوفود القنصلية مع قوافل الحجيج وهدفهم من كل هذا هو إظهار المكانة التي هم عليها وأنهم الأسياد والسلاطين لهم سلطانهم على تلك البقاع (ابن خلدون والـسلاوي، ٢٠٠٠: ص ٢٦٥)، فضلاً عن إنهم كانوا بأمر الحاجة ، وهم لا يزالون في مرحلة تثبيت أركان دولتهم ، إلى إثبات وجودهم ، وليس هذا وحسب بل أن هناك شيء أهم من ذلك يكمن بمبدأ الإعراف بهم كقوة عسكرية في أفريقيا الشمالية بوصفهم الوارث الشرعي لكل ما تركته الدولة الموحدية ، وليس أدل على ذلك إلا بقيامهم ، كإثبات لكل ذلك ، حمايتهم طرق الحجيج وقيادة الحرب المقدسة ضد نصارى الأندلس من أجل إثبات حُسن نواياهم من جهة وكسب ود ومحبة أشرف الحجاز (الـسلاوي وابي شنب ، ١٩٥٤: ص ١٣٧-١٣٨) .

يرى أحد الدارسين أن قيام السلطين في المغرب على وجه العموم بتوجيه السفارات إلى بلاد الحجاز كانت أحد أهم وسائل التواصل والتي تركت تأثيراً وتأثراً كبيراً لكلا الجانبين تمخضت عن إزدهار العلاقات السياسية ، فالموفدين كانت غايتهم الأساسية هي تنفيذ مبادرة تتخذها الدولة لمصالح تقتضيها الضرورة أو ظروف أجبرتها على ذلك وربما وصلت للمجاملة في أحيان بسيطة ، فضلاً عن أن تلك السفارات قد تكون إستجابة لإيعاز من دويلات المغرب ذاته إذا ما شعر بضرورة التواصل أو أمر إستوجب إستقدام تلك السفارة وله في ذلك غاية تبرر وسيلته تلك واضعاً نصب عينيه الحصول على تركية لموقفه والوقوف موقف ضد بعض الجهات أو ربما تكون تلك السفارة غرضها الأساسي للمساعدة من أجل حل مشاكل كانت قد تعرضت لها تلك الدولة وهو أمر يتطلب حضور شخصية لها ثقلها ووزنها تكون مخولة للبت في المسائل العالقة والمعلقة بين الأطراف (التازي ، ١٩٨٨: ص ٦٩) .

ولهذا ووفقاً لما تقدم فإن إهتمام المرينيين بتنظيم ركب الحج وأول ركب رسمي كان قد إقترن بتوسعهم على أراضي المغرب الأوسط عند محاصرتهم لمدينة تلمسان في سنة (٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م) بقيادة السلطان أبي يعقوب يوسف الناصر (٦٨٥ - ٧٠٦ هـ / ١٢٨٦ - ١٣٠٦ م) والذي لاقى أهمية خاصة من قبله ونظمه تنظيماتاً لائقاً بقوة دولته ، فضلاً عن قيامه بنسخ المصحف الشريف وبخط أبي العباس

العلاقات السياسية والعسكرية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين

أحمد بن حسن التلمساني ، وأهداه إلى الحرم المكي ، وقوبل هذا بوفدٍ من شرفاء مكة في العام ذاته من بني أبي نمي محمل بالهدايا . (التلمساني وآخرون ، ١٩٨١ : ص ٣١٣)

لم تقتصر علاقات السلطات المرينية بأشراف الحجاز على إرسال ركب الحج والمصاحف الشريفة وإنما كانت هناك العلاقات أكثر رسمية مع أشراف الحجاز ، إذ وصل وفد من بلاد الحجاز محمل بالهدايا الثمينة إلى السلطان يوسف في وقت حصاره لمدينة تلمسان في سنة (٧٠١ هـ / ١٣٠١ م) رغباً في تحسين العلاقات فأكرم السلطان وفادتهم وأمر أعيان المغرب وصلحائه بالسير إلى الحجاز بالهدايا إلى الكعبة المشرفة ومرسلاً معهم أموالاً طائلة لتوزيعها على أهل مكة المكرمة والمدينة المنورة (ابن أبي زرع وابن خلدون ، ١٩٧٢ : ص ٣٨٧) .

ودفعاً لهذه العلاقات وتوسعها بين بلاد المغرب وأشراف الحجاز تم إرسال سفارة مغربية في العام ذاته (ابن أبي زرع وآخرون ، ١٩٧٢ : ص ٣٨٧) ، إلى صاحب مكة أبي نمي الأول (٦٣٠ - ٧٠١ هـ / ١٢٣٢ - ١٣٠١ م) (ابن خلدون والتازي ، ٢٠٠٠ : ص ٤٠٧) ، تأخذ على عاتقها إخبار صاحب مكة برسالة يشرح فيها فتح مدينة الجزيرة الخضراء ، وكانت معنونة إلى ضريح الرسول الأعظم محمد (ﷺ) (التلمساني وآخرون ، ١٩٨١ : ص ٢٥٢-٢٥٣) .

وفي عام (٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م) أرسل السلطان يوسف بن يعقوب المريني سفارة مغربية برئاسة القاضي محمد بن زعبوش وهو من أعلام المغرب ووجهائه والعلامة أبي عبد الله القصار ، وأبي عبد الله محمد البقوري وهو من كبار فقهاء المالكية الذي كُلِّف بحمل المصحف الشريف (ابن فرحون وآخرون ، ١٩٧١ : ص ٣١٦) ، ويعد توجه هذه السفارة مع ركب الحج ، الذي نال إهتماماً بالغاً من لدن السلطان يوسف ، هو من أجل تحقيق غاية سياسية ودبلوماسية مع الطرف الآخر ، فبعث مع السفارة والركب فرقة عسكرية تقدر بخمسمائة رجل من أهل زناته لتوفير الحماية أثناء الرحلة وحتى وصولها ، كما تضمنت البعثة أموالاً طائلة كانت الغاية منها توزيعها على الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة (السلوي وآخرون ، ١٩٥٤ : ص ٨٣) ، ومصحفاً شريفاً ليضعه وفقاً على الحرم المكي (ابن أبي زرع وآخرون ، ١٩٧٢ : ص ٣٨٧) ، وقد بلغ الإهتمام بهذه السفارة والركب إن أصر السلطان على دعوة كبير أشراف آل أمغار يلتسمه فيها تعيين ثلاثة رجال من هذه الأسرة ليتوجهوا إلى بلاد الحرمين الشريفين ، وبالفعل تم ذلك وأنطلقوا بركبهم من مدينة تلمسان وعاد في عام (٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م) (المنوني ، ٢٠٠٠ : ص ١٧٣) .

وبعد عودة الركب أعلاه وفي العام ذاته جهز السلطان يوسف المريني ركباً رسمياً آخر إلى بلاد الحجاز يكون إنطلاقه من مدينة تلمسان ، وقد جعل على إمارة هذه الركب علاء الدين أيدغدي

العلاقات السياسية والعسكرية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين

الشهرزوري ، وغرض السلطان من كل هذا هو العمل على تمهيد السبيل لحجاج بيت الله الحرام وتوفير الأجواء المناسبة لهم من أجل إنجاحه بشتى السبل (التلمساني وابن خلدون، ١٩٨١: ص ٣٨٥) ، لرؤيته المستقبلية بأن هذه السفارات لها تأثير كبير في تحسين العلاقات وعلى مختلف الصعد ، وبالفعل أعطت هذه السفارات سمعة طيبة للسلطان المريني وبينت أثرهم السياسي والذي نتج عنه قيام أشرف مكة بتعزيز الثقة وإرسال البيعة للسلطان يوسف بن يعقوب (الشاهري ، د.ت: ص ٨٣) .

وفي السياق نفسه وضمن استمرار العلاقات الدبلوماسية الرسمية مع أشرف الحجاز جاء إلى المغرب وفداً من أشرف الحجاز قاصداً السلطان يوسف المريني وكان ذلك في العام نفسه (٧٠٤هـ / ١٣٠٤م) ، كذلك وبسبب مجيء هذا الوفد هو لموقفه من الممالك وسياساتهم السيئة المتبعة ضدهم ، فعندما وصل الشريف لبدة بن أبي نمي مدينة تلمسان كانت علامات الغضب والإستتكار بادية عليه بسبب سياسة السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون الذي قام بالقبض على أخويه حميضة ورميثة (ابن خلدون وآخرون، ٢٠٠٠: ص ٤٩٤) بعد مهلك أبيهم أبي نمي صاحب مكة ، فما من سياسي إلا وابدأ له الإحترام والتقدير والإكرام لنسبه ومكانته الدينية في بلاده هناك ، ولم ينسئ السلطان في تقديم ذات التقدير البالغ والإكرام للوفد المكي المرافق له ، الذي طاف وتطلع على معالم السلطنة وقصور بني مرين ، وبعد مكوث الوفد لمدة أربع سنوات عاد الشريف برفقته إلى بلده الحجاز وتسلم الحكم فيها (ابن خلدون والسلاوي، ٢٠٠٠: ص ٢٩٩) .

ومما تقدم بالإمكان الوصول إلى نتيجة واضحة عن طريق الأدلة والشواهد المقدمة ، بوجود علاقات سياسية مستمرة غير منقطعة على الرغم من الظروف الصعبة بين حكام المغرب وأشراف الحجاز ، إلا أنها إتسمت الودية والنوايا الحسنة ، والدليل على ذلك الموقف الحسن الذي كان عليه السلطان يوسف من لجوء الشريف لبدة بن أبي نمي والإقامة عنده وما كان هذا ليحصل لولا وجود علاقات سياسية حسنة بين الطرفين ، وكانت هذه العلاقات قد أوجدت أثراً بارزاً ومهماً أدت بالتالي إلى أن تفتح مجالاً أوسع أمام التأثيرات الحضارية المختلفة ، وعلى هذا عدت الظروف السياسية عاملاً مساعداً على الإتصال الحضاري إذ أن تبادل الزيارات بين الأطراف مهما اختلفت أسبابها ودواعيها فستكون نتائجها واضحة وفقاً لهذا الإحتكاك والتقارب والتأثر والتأثير وبصورة حتمية وطبيعية في الإسهام بشكل كبير في مد جسور التواصل الحضاري بينهم .

ومن الجدير بالذكر أن عهدي رميثة وأخيه حميضة كانا قد شهدا تطوراً ملفتاً فعلى الصعيد الداخلي يشار إلى أنهما إستطاعا إبطال شيئاً من المكوس مما جعل القبائل في مكة الإلتفاف حولهما فتأمنت الطرق مما أدت هذه السياسة بالتالي إلى أن تشهد مكة حالة من الإستقرار والطمأنينة إنعكست نتائجها

العلاقات السياسية والعسكرية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين

على الصعيد الخارجي إذ زاد إقبال حجاج المغرب إلى الحجاز بأعداد لا تحصى في الأعوام (٧٠٤ - ٧٠٥ هـ / ١٣٠٤ - ١٣٠٥ م) (الفاسي والسباعي، ١٩٥٦: ص ٢٤٣) ، ففي عام (٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م) وفد عدد كبير من المغاربة إلى الحج بركبٍ ضخم كان قد إنطلق من مدينة تلمسان إذ عقد فيه السلطان يوسف على دلالتهُم لأبي زيد الغفاري وأبي الحسن التنسي إذ حملوا الهدايا والمصاحف (ابن خلدون وآخرون، ٢٠٠٠: ص ٢٩٩) ، وفي عام (٧٠٥ هـ / ١٣٠٥ م) بعث أشرف مكة مع أمير الركب المغربي أبي زيد الغفاري بيعتهم ورسوم ولأئهم للسلطان أبي يعقوب يوسف المريني ، فضلاً عن إرسالهم هدايا شملت كسوة الكعبة الشريفة ، وهذه الخطوة قوبلت بحفاوة كبيرة من قبل أشرف مكة للدولة المرينية الأمر الذي رفع من قدرها وقوتها على مستوى العالم الإسلامي آنذاك (ابن خلدون وآخرون، ٢٠٠٠: ص ٢٩٩) ، وفي عام (٧٢٤ هـ / ١٣٣٤ م) أرسل السلطان يوسف ركباً لبلاد الحجاز ، بعد رفع الحصار المريني عن مدينة تلمسان (ابن خلدون وبرنشفيك ، ١٩٠٣: ١٣٦) ، رافقه كبار الدولة الزيانية ومنهم هلال مولى يحيى بن يوسف الذي كان حاجب للسلطان أبي تاشفين (لسان الدين بن الخطيب وآخرون، ١٣١٦: ص ٧٣) .

أشارت النصوص التاريخية إلى أن المرينيين إتبعوا أساليباً متنوعة في سبيل التواصل الدبلوماسي والسياسي مع بلاد الحجاز ، ومنها إعتمادهم على وجهاء القبائل وزعمائها ، ولا سيما المقربين من السلاطين ، فضلاً عن الفقهاء في دولتهم ، في مراسلة أشرف الحجاز ، مثلما قام به السلطان يوسف بن يعقوب بإرساله وفد من صلحاء فقهاء المغرب إلى بلاد الحجاز حاملين معهم مصحفاً مكللاً بالجواهر واليواقيت كهدية للكعبة المشرفة (ابن أبي زرع وآخرون، ١٩٧٢: ٣٨٧) ، لذا فإن هذه السفارات ومثيلاتها تمثل بلا أدنى شك حلقة مهمة من حلقات توطيد روابط المحبة والتودد بين المغاربة وأشرف الحجاز والتي تعكس بصورة واضحة مدى متانة العلاقات السياسية بين الجانبين .

في عام (٧٣٦ هـ / ١٣٣٦ م) توجهت سفارة مغربية ضمن ركب يحمل معه والدته السلطان أبو الحسن المريني ، الحرة الغنبر ، بقيادة الشيخ أبي عبد الله محمد بن الجراح ، حملت والدته السلطان معها رسالة إلى السلطات الحاكمة في بلاد الحجاز تضمنت تفاصيلاً عن غايتها من هذه الرحلة التي عازمت فيها حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول الأعظم (ﷺ) ، كما تضمنت الكشف عما ينوي ولدها السلطان أبو الحسن المريني من تحركات على مدينتي تلمسان وتونس وجهاده ببلاد الأندلس (التلمساني وآخرون، ١٩٨١: ص ٢٤١) ، ولم يشأ القدر أن تصل هذه الرسالة بيد والدته إذ أدركها الموت قبل إنطلاق السفارة ليقيم بهذه المهمة ابن الجرار بدلاً عنها (التلمساني، ١٩٨١: ص ٢٤١) ، وكان مضمون الرسالة ما يلي : " فإننا نحيط علم الإخاء الأعز ما كان من عزم مولاتنا والدة قدس الله روحها ، ونور ضريحها ، على

العلاقات السياسية والعسكرية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين

أداء فريضة الحج الواجبة ، وتوفية مناسكة اللزبة فأعترض الحمام ، دون ذلك المرام وعاق القدر ، عن ذلك بلوغ الوطر ، فطوي كتابها وعجل الى مقر الرحمة بفضل الله ما بها ، وعلى الله أجرها ، وعنده يحسب ذخرها ، وأن لدينا من نوجب إعظامها ، ونقيمها بحكم البر مقامها ، وعزمها إلى ما أملتة مصروف ، وأملها إلى ما كانت أمتة موقوف ، وهي محل والدتنا المكرمة المبرورة " (القلقشندي ، ١٩١٥ : ص ١٠١) .

ومن هذه الرسالة يتبين مشاركة وإسهام المرأة بغض النظر عن كونها من الأعيان أو لها مساس بالطبقة الحاكمة لكن هذا يعطينا إنطباع بمدى مقدرة المرأة على الإسهام في تقريب وجهات النظر أو التقارب بشكل عام ، وأن كانت هذه المهمة لم تتم ، إلا أنه بإمكان المرأة المساهمة دبلوماسياً وسياسياً في نقل رأي معين أو رسائل خاصة أو أي مظهر من المظاهر الأخرى التي تسهم في نجاح العلاقات أياً كان نوعها بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز .

بعد الحصار المريني الثاني على مدينة تلمسان ، أرسل السلطان أبو الحسن المريني عام (٧٣٧هـ / ١٣٣٧م) بعثة دبلوماسية وركباً كبيراً من الحجاج مستغلاً عهده الذهبي الذي كانت تعيشه الدولة المرينية وإزدهار العلاقات المغربية المشرقية فيه ، فتولى تجهيز هذا الركب بنفسه ، وصف بأنه من أجل الركبان التي ذاع صيتها بين أهل المغرب وأهل المشرق (السلوي وآخرون ، ١٩٥٤ : ص ١٢٧) ، إذ حجت فيه الحرة مريم أم اخته وحظيه والده والتي كانت بمنزلة والدته التي أخذت الوعد منه بالحج عندما يملك مدينة تلمسان ، وكان هذا الركب بقيادة ركب الحجاج المغاربة الذي وصل عام (٧٣٨هـ / ١٣٣٨م) (التلمساني ، ١٩٨١ : ص ٢٤١-٢٤٢) ، سار هذا الركب برفقه عدد من نساء البلاط ، الذي إشتهر بحمله الربعة الشريفة (السلوي والمنوني ، ١٩٥٤ : ص ١٢٩) التي بعثها أبو الحسن المريني للمسجد النبوي ، كما برسالة خاصة أكد فيها على حسن العلاقات الطيبة فيما بينهم ووصيته بالاعتناء بالحجاج المغاربة ولاسيما الحرة مريم ، وأن المصحف الذي بعثه يكون وقفاً منه على المسجد النبوي الشريف ، فضلاً عن إرساله الأموال اللازمة التي عيّن لها لشراء الضياع بالمدينة المنورة لتكون وقفاً على القراء في الربعة الكريمة (ابن خلدون والسلوي ، ٢٠٠٠ : ٣٥١-٣٥٢) .

ومما تقدم يبدو واضحاً الأثر الذي تركته المرأة سياسياً ودبلوماسياً عن طريق هذه المشاركة التي مثلتها نساء البيت السلطاني المريني في رحلات الحج هذه من أجل أداء الفريضة ، فضلاً عن تثبيت العلاقات السياسية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز ، ونخلص أن هذه المشاركة ما هي إلا دليل واضح على الوعي السياسي لنساء سلاطين الدولة المرينية ، ولم يكن المصحف الشريف الوحيد الذي حمله الركب إلى المسجد النبوي ، وحسب بل حمل الركب معه هدية عظيمة أصبحت حديث المجالس في المغرب والمشرق والتي بعث من أجلها وجهاء دولته وأعيان العرب ورجال الدين وكل من له شهرة من الشخصيات المرموقة

العلاقات السياسية والعسكرية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين

من كبار رجال الدولة (ابن خلدون والمنوني، ٢٠٠٠: ص ص ١٨٣-٣٥١) ، وهذا دليل واضح جداً على عمق تلك العلاقات وإزدهارها عن طريق هذه السفارات والرحلات التي لاقت شهرة واسعة .

أشار ابن خلدون إلى بقية الرحلات التي نُظِّمَتْ على عهد السلطان أبي الحسن والتي كان إنطلاقها من مدينة تلمسان ، إلا أن ابن خلدون لم يُفَصِّلْ بها فهي لا تخلو من التعميم ولا تقي بالغرض في إستجلاء معالم تلك الرحلات والأركاب التي حصلت في الأعوام (٧٤٠ هـ / ١٣٤٠ م و ٧٤٥ هـ / ١٣٤٥ م و ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) ، إذ كتب أبو الحسن ثلاثة مصاحف شريفة بخطه وأرسلها إلى المساجد ، وكان المصحف الشريف الثاني على شاكلة المصحف الأول وبعثه إلى الحرم المكي (ابن خلدون وآخرون ، ٢٠٠٠: ص ص ١٩٨-٢٠٠) ، وعلى وجه العموم يمكن القول إن إزدهار العلاقات السياسية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز في عهد السلطان أبي الحسن المريني كان قد أجمل أسبابها ابن خلدون بقوله أن له : " مذهب في ولاية ملوك المشرق والكلف بالمعاهد الشريفة تقبله من سلفه وضاعفه لديه متن ديانته " (ابن خلدون والسلاوي، ٢٠٠٠: ص ٣٥٠) .

في عهد السلطان أبي عنان فارس المريني الذي حكم بعد وفاة والده أبو الحسن سنة (٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م) ، قام بأول عمل له بتوجيه سفارة إلى السلطات الحاكمة في بلاد الحجاز في عام (٧٥٦ هـ / ١٣٥٦ م) هدفها إيصال رسالة نثرية وشعرية إلى الضريح النبوي الشريف ، قادها الفقيه أبي القاسم محمد بن يحيى بن محمد الغرناطي (ت ٧٨٦ هـ / ١٣٨٥ م) ، فضلاً عن توجهها السياسي الذي للأسف لم تكشفه المصادر ولا فصحت عنه (لسان الدين بن الخطيب والمنوني، ٢٠٠٩: ص ٢٩٤-٣٠٠) .

وفي عهد السلطان أبي فارس عبد العزيز الأول بن السلطان أبي الحسن (٧٦٧ - ٧٧٤ هـ / ١٣٦٦ - ١٣٧٣ م) والذي إرتبط بعلاقات طيبة وحسنة مع أشرف بلاد الحجاز والسلطات المملوكية التي كانت الحجاز تحت تبعيتها ، إذ بعث السلطان أبو فارس رسالة إلى المقام النبوي الشريف بخط يده ، تؤكد على إهتمامه بركب الحج وتقديمه الشكر للسلطات الحاكمة في الحجاز على كل ما يبذلوه لإنجاح حج المغاربة في البقاع المقدسة (الشاهدي والمنوني، ١٩٩٠: ص ١٢٢) ، وهذا دليل واضح ومؤكد على عمق التواصل بين الجانبين وإستمرار العلاقات الودية فيما بينهم ، وقوة أواصر العلاقات السياسية التي يؤكدتها إستماع هؤلاء الحجاج ، وهم في الديار المقدسة بكل فخر وإعتزاز ، إلى ذكر إسم سلطانهم في خطبة عيد الأضحى المبارك من بين أسماء كبار ملوك الإسلام (برنشيفك والشاهدي، ١٩٨٨: ص ٤٥٢) ، كذلك في عام (٨٧٨ هـ / ١٤٧٣ م) قيام إحدى زوجات أبو عبد الله بن أبي فارس صاحب إفريقية وهي رابحة بنت المرابط بسفارة من أجل الحج وكان مركبها على درجة كبيرة من الأبهة (السخاوي، د.ت: ص ٣٤) .

العلاقات السياسية والعسكرية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين

ونلخص مما سبق إلى أن للسفارات عملت أثراً بارزاً ومهماً في تقريب العلاقات وتنميتها وإزدهارها على الرغم من إنها في مجملها كانت تحمل رسائل أو هدايا متنوعة أو وصايا يُطلب فيها الإهتمام بركب الحجيج الذي يُبالغ به كثيراً من قبيل التجهيز والنفقات منذ انطلاقه وحتى وصوله للحجاز وهو برفقة رجال من كبار الدولة ، وهذا دليل حي وواضح على إهتمام سلاطين المغاربة لرحلات الحج من أجل أن تصل بأمان وتلافياً للأخطار التي قد تلحق به ، وعلى الرغم من أن أركاب الحجيج كانت ذات طابع ديني إلا أنها كُلفت بمهام دبلوماسية وتركت أثراً بارزاً في تحسين العلاقات مع أشرف الحجاز ، وكانت هذه الدبلوماسية المتبعة أن تحقق المراد في مواكبة مجريات التطورات السياسية .

وفضلاً عما تقدم يمكننا أن نضيف عوامل أخرى أسهمت في تقوية العلاقات السياسية بين سلاطين المغرب وأشرف بلاد الحجاز ألا وهو عامل اللجوء السياسي الذي سمح بانتقال أفراد من الأسر المغربية إلى بلاد الحجاز وبالعكس ، إذ تبحث هذه الأسر عن مكان آمن لإستقرارها بسبب إضطراب الوضع السياسي ومنها ما حصل في المغرب الأوسط على عهد الدولة الزيانية ، وهناك عدة أسباب أدت إلى الاتجاه نحو الحجاز منها ما تعرضت له الدولة الزيانية من صراع داخلي بين البيت الزياني من أجل الوصول إلى سدة الحكم (فيلاي، ٢٠٠٢: ص ٦٦-٧٥)، فضلاً عن ما تعرضت له العاصمة تلمسان من حملات عسكرية من قبل بني حفص وبني مرين والتي إستمرت طيلة القرون (٧ - ٨ - ٩ هـ / ١٣ - ١٤ م) (بوداود، ٢٠٠٥: ص ١٧٤) ، ففي نهاية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي تعرضت تلمسان إلى حصار طويل دام حوالي ثماني سنوات وثلاثة أشهر أصاب أهل تلمسان من الكرب أمراً عظيماً وقد عبر عن ذلك الكرب ابن خلدون بقوله : " حيث ذقت فيه تلمسان من الجهد والجوع من لم يسمع بمثله في البلدان " (ابن خلدون، ٢٠٠٠: ص ١٢٨) ، فهلكت أُمم وإنجلى الكثير من أهلها (التلمساني، ١٩٨١: ص ٢٠٣) ، وعن طريق ذلك أُجبرت الكثير من الأسر إلى اللجوء للحجاز طلباً للأمن والأمان ، إذ عُدَّت هذه المرحلة من عمر الدويلات في المغرب الإسلامي من أسوأ المراحل التي شكلت عاملاً طارداً للسكان ، نجحت بلاد الحجاز بإستقطابهم للصلات الحسنة التي يرتبطون بها مع أشرفها وعليه تم إستقبالهم والترحيب بهم .

ثانياً - أثر الهدايا المتبادلة في توثيق العلاقات السياسية بين دول المغرب الإسلامي وبلاد الحجاز :

تمثل الهدايا المتبادلة بين الدول نوعاً من العلاقات الحسنة بصورة عامة ، وليس هذا فحسب بل يكون لها أثراً مميزاً في تمتين العلاقات السياسية بين تلك الدول ، لأن هذا النوع من التعامل يعد عاملاً ناجحاً في كبح جماح أي شعور عدائي ومقياس حميد ومؤثر في خلق جو من التأثير بشكل قابل لتوطيد

العلاقات السياسية والعسكرية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين

العلاقات السياسية على المستويين القريب والبعيد في تحقيق التواصل بين مختلف الدول عن طريق قيامهم بأوقاف أو أحباس جليلة على الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وبالرغم من أن هذه الأوقاف هي في جوهرها مورد إقتصادي إلا أنها لها التأثير الكبير في إنعاش الحياة الاجتماعية وتمتين العلاقات السياسية ما بين سلاطين المغرب وأشرف الحجاز ، إذ تعد مصدر قوة للدولة تخفف عليها الكثير من الأعباء وتجعل تحت تصرفها موارد ضخمة ، وهناك أمثلة وشواهد على ذلك كالذي قام به السلطان أبو يعقوب يوسف المريني بتحسيس مصحفاً لوقوفه على الحرم المكي الشريف قربة إلى الله تعالى عام (٧٠٣هـ / ١٣٠٣م) تم حمله رفقة ركب الحاج المغربي وكان حجمه كبيراً ومرصعاً بالدر والذهب والياقوت (ابن خلدون وآخرون، ٢٠٠٠: ص ٢٩٨-٢٩٩) ، وصفه صاحب المسند قائلاً : " وقد رأيت بمكة شرفها الله المصحف الذي بعثه عمهم المولى أبو يعقوب بخط ابن حسني ، وكان وجهه محلى بالذهب المنظوم بالجواهر النفيسة ، فإنتزع ما عليه وبقي في قبة الشراب يقرأ فيه احتساباً ، وقد قرأت فيه في اعوام " (التلمساني والمنوني، ١٩٨١: ٤٧٦) ، ومن أجل حماية الحجاج المغاربة وتقديم التسهيلات اللازمة لهم قام السلطان أبو يعقوب يوسف كذلك بتقديم الهدايا والاموال الكثيرة برسم التفريق على أهل مكة والمدينة مع المصحف الشريف للسلطات الحاكمة في الحجاز إذ ضمت اربعمئة جواد من عتاق الخيل بجهازها ، وغير ذلك من النفائس والذخائر (ابن ابي زرع، ١٩٧٢: ص ٣٨٧) ، وتم قبول الهدايا من قبل السلطات الحاكمة في الحجاز وقاموا بإكرام الحجاج المغاربة بأبلغ وجوه التكريم وبعث معهم أميراً لإكرامهم ، وقراهم في طريقهم حتى قضوا فريضة الحج (ابن حبيب وآخرون، ١٩٧٦: ص ٢٦٣) .

كما قام السلطان أبو الحسن علي بن عثمان المريني بوقف مصحف كتبه بخط يده وتولى مجموعة من أكابر القراء بتدقيقه وضبطه لغوياً وتزيينه بالجواهر وتغليفه بالجلد والحريز (ابن خلدون والحريز، ٢٠٠٠: ص ٢٩٩) ، ولم يكتفِ السلطان بإرسال المصحف هذا وحسب بل شفع ذلك بمبلغ من المال قُدِّر بستة عشر ألف وخمسمئة دينار ذهب لشراء الضياع بالمشرق ولا سيّما في البقاع المقدسة مكة المكرمة والمدينة المنورة تعبيراً عن حبه وتعلقه بالمشرق فقام بتحسيسها على قُرّاء في المصحف (السلوي والتازي، ١٩٥٤: ص ١٢٧) .

أشار ابن مرزوق التلمساني إلى أن السلطان أبي الحسن المريني كان دأبه العمل على تمهيد السبيل لحجاج بيت الله وتقديم المعونة اللازمة لهذا الأمر بتجهيزه الركوبات من المغرب بإستمرار ، فلما نزل مدينة تلمسان وحاصرها كان أعظم ما نقم على صاحبها تعرضه للمتوجهين من المغرب برسم الحج ، ولما تم له فتحها صار يوجه في كل عام ركباً إلى الحج للديار المقدسة (التلمساني، ١٩٨١: ص ٣٨٥) ، كما

العلاقات السياسية والعسكرية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين

هياً ركباً للحجيج في عام (٧٣٨ هـ / ١٣٣٨ م) إذ إنطلق من مدينة تلمسان بزعامة أبي سعيد عثمان بن يحيى بن محمد بن جرار التلمساني (المنوني، ٢٠٠٠: ص ١٧٨) .

وفي سنة (٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م) قام السلطان أبو الحسن المريني بكتابة نسخة أخرى من المصحف وإرسالها مع لركب الحج ووقفها على الحرم المدني في المدينة المنورة وأرسل في هذا الركب عدد من رجال دولته وعن طريق ذلك نستشف أن العلاقات السياسية بقيت كما هي ودية وحسنة ما بين سلاطين المغرب والأشراف القائمين على الحكم في بلاد الحجاز (الحريري والمنوني، ١٩٨٧: ص ٢٠٨) ، وبالمقابل قام أشراف الحجاز بإرسال الهدايا إلى سلاطين المغرب ، فهذا أمير مكة الشريف سرور بعث لصهره السلطان محمد بن عبد الله بوساطة الركب الفاسي بيد الشيخ عبد الواحد صفيحة هدية فاخرة فيها خنجر من الذهب ومبلغ من المال (المنوني، ١٩٥٣: ص ٢٩-٣٠) ، كما قام السلطان عبد الله بن إسماعيل ببعث ثلاثة وعشرين مصحفاً بين صغير وكبير إلى المسجد النبوي وكانت جميع هذه المصاحف مرصعة بالدر والياقوت (ابن خلدون والسلاوي، ٢٠٠٤: ١١٧) .

وفي سنة (٨٣٧ هـ / ١٤٣٤ م) قام السلطان أبو فارس عبد العزيز بإرسال قوافل الحجيج ومعهم هدايا حُمِلت على ركب ألف بعير للسلطات الحاكمة في الحجاز ، كما شملت هذه الهدايا الكثير من التبرعات المالية يبغى من وراء ذلك ضمان سلامة وصول الحجاج وتسهيل مرورهم وتوفير مستلزمات الراحة لهم (ابن خلدون، ٢٠٠٤: ص ٢٧١) ، وعن طريق هذه التبرعات ذاع صيت السلطان أبو فارس في دول العالم الإسلامي وتم ذكر اسمه في خطب الجمعة من بين أسماء كبار ملوك الإسلام ، جعلت الحجاج الأفارقة يشعرون بالإعتزاز بهذا الشرف الذي نال سلطانهم (ابن خلدون وبرنشفيك، ٢٠٠٤: ص ٢٧١) .

في العصر الحفصي وبالتحديد في عهد السلطان الحفصي أبي عمرو عثمان (٨٣٩ - ٨٩٢ هـ / ١٤٣٥ - ١٤٨٥ م) (السخاوي وعامر، ١٨٩٦: ص ١٢٣) ، قام هذا السلطان بإرسال مجموعة من الهدايا إلى السلطات الحاكمة في بلاد الحجاز مع مواكب الحجيج ولا سيما في مواسم (٨٤٩ هـ / ١٤٤٦ م) و (٨٥٩ هـ / ١٤٥٤ م) و (٨٧٢ هـ / ١٤٦٨ م) (السخاوي وبرنشفيك، ١٨٩٦: ص ١٢٣) .

ولم يقف الأمر عند الهدايا وحسب بل نجد أن السلاطين كانوا يضيفون مع الهدايا المتنوعة رسائل يهدونها لروح الرسول الأعظم (ﷺ) ويؤكدون فيها على إخلاصهم للحرم النبوي الشريف ويتضرعون إلى الباري عز وجل وبرسوله الكريم إلى حل الأزمت الطارئة التي تحصل لهم مثلما فعل السلطان أبو عنان المريني حينما بعث رسالة إلى الضريح النبوي المطهر يتضرع فيها للنبي الأكرم (ﷺ) ومعها قصيدة كان

العلاقات السياسية والعسكرية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين

قد نظمها بنفسه وأرسلها مع القاضي محمد بن يحيى الغساني (ت ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م) (المنوني، ١٩٥٣: ص ٢٧-٢٨) .

والى جانب المواقف الرسمية كانت هناك المواقف الشعبية المتمثلة بالحجاج أنفسهم إذ كان لهم الأثر المهم في تعزيز العلاقات والصلات السياسية عن طريق نقلهم للهدايا المتبادلة بين الجانبين ، والذين اعتادوا على بعث الربعات الشريفة والمصاحف وحبسها على الحرمين الشريفين ، وعادة ما كانوا يكفلون كبار الشخصيات للقيام بهذا الأثر الجليل (بوعباد، ٢٠١١: ص ٢١١) ، فضلاً عما قام به المغاربة من إطلاق أسماء مواقع ومدن موجودة في بلاد الحجاز على مواقع في مدنهم نظراً لما يوجد بينهما من تشابه وتجانس من الناحية التاريخية والجغرافية كخيبر التي تقع على مقربة من المدينة المنورة ، وإطلاقها على منطقة في زرهون الواقعة بالقرب من مرقد إدريس بن عبد الله مؤسس الدولة الإدريسية ، وهذا ما دعى أحد الدارسين للقول بأن هذا الأمر يرجع إلى باب المجاملات السياسية في تحسين علاقات سلاطين المغرب مع أشرف الحجاز ، ومن باب آخر تعزيز العلاقات السياسية فيما بينهم (التازي ، ١٩٨٨: ص ٩٥-٩٦) .

الخلاصة أن العلاقات السياسية الناتجة بين الجانبين كانت طيبة وودية والأدلة والشواهد واضحة والتي كانت تتم عن طريق إرسال المصاحف الهدايا والرسائل مع الأركاب والمرتلين للحج والأحباس سواء كان ذلك بصورة رسمية كحكام وسلاطين أو شعبية متمثلة بالحجاج أنفسهم ، ولم يكن الأمر يلقى رفضاً أو معارضة من لدن حكام الحجاز بل سعوا إلى تقبل الأمر وإرضاء الجانب الآخر حكماً وشعباً وهذا إن دل على شيء إنما يدل على حُسن العلاقات بين الجانبين ، فالسلطان أبو الحسن المريني كانت غايته الأساسية هو جلبه الشرعية لسلطته وحكمه شأنه في ذلك شأن السلاطين الآخرين الذين يولون إهتماماً كبيراً للحرم المكي ويحصلون على تأييد المسلمين لهم أينما كانوا ولفت الأنظار إليهم ، كما أن قيام المغاربة بإرسال المواد الاستراتيجية من منتجات حربية وقطعها اللازمة والهبات والعطايا المالية الهامة والإعانات العسكرية الضخمة ، فضلاً عن أن جزء من هذه الهدايا تكون من الغنائم الحربية التي يحصلون عليها من سوح المعارك بأوروبا ويقومون بإرسالها إلى مكة المكرمة وأمراء المدينة المنورة كالنواقيس والأجراس الضخمة المقتلة من الكنائس الإسبانية ، والتي تكون في الغالب رداً على إحراق بعض المتعصبين النصارى لمنابر المساجد الإسلامية ، وبالتالي إرسالها لبلاد الحجاز من أجل عرضها على الحجاج داخل الحرمين الشريفين ، وإرسال العشرات من السيوف والخناجر المحلاة بالذهب والمرصعة باليواقيت ذي الألوان المختلفة (التازي ، ١٩٨٨: ص ٨٧-٨٩) ، وهذا يعني أن القاعدة الأساسية في تقوية العلاقات السياسية تكون بالقوة العسكرية والدعم السياسي للتخلص من تهديدات العدو

العلاقات السياسية والعسكرية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين

كما أن الدعم الجهادي في تعزيز مبدأ الإسلام يكون بتقديمهم هدايا حربية في إطار المصلحة المشتركة في القضاء على القوى المسيطرة ، يضاف إلى هذا ما كانت تميله المؤلفات المغربية من ملاحظات هامة عن الحجاز والعلاقة القائمة بين أشرف مكة المكرمة والمدينة المنورة من جهة والدول الأخرى من جهة أخرى ، وكيف كان الأشرف يبذلون المستحيل والغالي والنفيس رغبة منهم في الحصول على الدعاء من حجاج المسجدين الشريفين أيام الحج ولهذا أثره الواضح في تمتين العلاقات بين المغرب وبلاد الحجاز .

ثالثاً - أثر المذهب المالكي في توثيق العلاقات السياسية بين دول المغرب الإسلامي وبلاد الحجاز :

بعد أن إسترجع المذهب المالكي مكانته التي كان عليها إبتداءً من (النصف الثاني من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) ، بفضل علمائه وما كان لهم من أثر في تحسين العلاقات السياسية بين الأطراف الحاكمة في البلدان وأبرز من مثل ذلك هو ابن زيتون (العبدري وابن خلدون، ٢٠٠٧: ص ١٧٩-١٨٠) ، فضلاً عن أن هذا المذهب قد وصل إلى شكل استطاع فيه فقهاءه من أن يؤدوا أدواراً مهمة عن طريق تمكنهم من فرض أنفسهم في كافة الخطط والنظم الدينية كإشغالهم مناصب مهمة وحيوية مثل قضاة الجماعة وقضاة الأقاليم والفتيا والشهود العدول (حسين وابو الاجفان، ١٩٧٥: ص ٥٢) ، ومشاركتهم في الوفود الرسمية التي يأمر بتشكيلها السلاطين ثم إرسالهم مع أركاب الحج إلى بلاد الحجاز ، كما لم يترك هؤلاء الفقهاء المجال لغيرهم في تسيدهم الخطابة السياسية والتي أبرز من مثلها الفقيه أبو عبد الله المعمر بن سليمان الندرومي (ت ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م) (ابن الأبار وآخرون، ١٩٩٥: ص ١٦٥-١٦٦) .

لم يكتسب المذهب المالكي قوته من الفقهاء وحسب بل نال ذلك الدعم والقوة من المستويين الرسمي والشعبي إذ ساهم عاملان مهمان في تقوية أواصر العلاقات السياسية بين المغرب وبلاد الحجاز وذلك من حيث تقارب المذهب الرسمي المشبع بالنفوس الصوفي ، ورعاية التسامح المذهبي والديني الذي تبناه أشرف الحجاز وكان من أبرز صور التعايش المذهبي لكلا البلدين ، ما بدر من الدولة الحفصية وموقفها من المذهب المالكي سياسياً ، فعلى الرغم من إعتناقهم مذهب ابن تومرت الموحي وعملوا جاهدين على تثبيته إلا أنهم كسلطة تحالفوا مع علماء الدين وأصبحوا فيما بعد يتسامحون شيئاً فشيئاً مع هذا المذهب مما جعله بالتالي ينتشر بشكل كبير بين معظم سكان أفريقيا (الدولاتي، ١٩٨١: ص ٧٨) ، وهذا دليل واضح وقوي على أن التسامح له أهداف سياسية يضمن شعبية وتأييد للأسرة الحاكمة عندما دفعت بإتجاه إعتناق مذهب الأغلبية من السكان في أفريقيا ، فضلاً عن نجاحه في صبغة التنظيم الإجتماعي والإنتاج الفكري بصبغة المالكية المنتشرة في هذا العصر .

العلاقات السياسية والعسكرية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين

في العصر الحفصي عُدَّ السلطان المستنصر بالله (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ / ١٢٤٩ - ١٢٧٦ م) من أكثر السلاطين الذين تبنا مبدأ التسامح الديني (القسنطيني وعامر، ١٩٦٨: ص ١٢٠) ، ولعل مرد ذلك يعود إلى الإعراف به من قبل أشرف الحجاز كخليفة للمسلمين في عام (٦٥٧ هـ / ١٢٥٨ م) ، ولتأكيد على هذا المبدأ قام هذا السلطان في عام (٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م) بإعطاء منصب قاضي الجماعة في مدينة تونس إلى أبي موسى عمران بن معمر الطرابلسي الذي يعد أحد أعلام المذهب المالكي ومن أبرز العارفين بالمسائل الفقهية وبصيراً بالأحكام وفق هذا المذهب (الزركشي، ١٩٦٦: ص ٣٥) .

في العصر الزياني كان لفقهاء المالكية مكانة رفيعة لدى سلاطين بني عبد الواد ولا سيّما في مدينة تلمسان ، وذلك عن طريق تقريبهم وتشجيعهم على الإبداع وإستقطاب علماءه ، إذ عمل يغمراسن بن زيان بجلبهم للعاصمة تلمسان وتقريبهم (بوعياذ والعبدري، ٢٠١١: ص ١٢٦) ، ثم سار بعده أبو سعيد عثمان على السياسة نفسها مع فقهاء المالكية ، كما إتبع أبو حمو موسى الأول سياسة الإستقطاب لفقهاء المالكية وأعطائهم مكانة مرموقة (ابن خلدون وآخرون، ٢٠٠٠: ص ١٣٣-١٣٤) .

في العصر المريني كان المذهب المالكي هو المسيطر في ميدان التشريع والعبادات ، إذ شهد عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق تطبيق أحكام المذهب المالكي بصورة عامة على سائر المحاكم المغربية التي كانت تصدر أكثر أمورها وأحكامها وفق آراء علماء المذهب المالكي ، ووفق هذا فقد أدى هؤلاء الفقهاء المالكية أدواراً كبيرة في تمتين الصلات والعلاقات السياسية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز عن طريق توليهم مناصب دينية وإدارية مهمة ونالوا حظوة لدى حكام الحجاز فأسندوا لهم بعض المناصب الرفيعة والمهمة كمنصب القضاء والكتابة والإفتاء وغيرها من المناصب ، والجدير بالذكر أن هؤلاء الفقهاء إضطلعوا بخطة الكتابة الديوانية ولا سيّما في عصر الدولة الموحدية ، وكان لهذا المنصب أهمية كبيرة في سياسة الدولة الموحدية التي إعتمدت الرسائل وسيلة دعائية للترويج لمذهبهم (ابن أبي زرع، ١٩٧٢: ص ١٩٦-٢٠٠) ، ومن أشهر من تولى هذا المنصب من فقهاء المالكية هو أبو الفضل بن أبي الطاهر ، وأبو عبد الله بن عياش ، وأبو الحسن الهوزني ، وأبو محمد بن الكاتب محشرة البجائي (ت ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م) الذي قام بالكتابة ليوسف بن عبد المؤمن ويعقوب المنصور وأبنه الناصر (ابن عذاري ، ٢٠١٣: ص ١٧٠) ، وهذا ما يخص خطة الكتابة الديوانية .

أما خطة أو منصب القضاء فقد كان له الأثر المميز في تمتين الصلات بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز تمثلت بتحركاتهم وتنقلاتهم بين الجانبين ، ومن هؤلاء القضاة أبو محمد عبد الوهاب بن يوسف بن عبد القادر البجائي (ت بعد ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م) (الغبريني ونويهض، ١٩٧٩، ص ٢٣٣) ، إذ ولي قضاء كثير من المدن الإفريقية ومنها مدينة قفصة (ياقوت الحموي، ١٩٧٧: ص ٣٨٢) .

العلاقات السياسية والعسكرية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين

كما مورس القضاء في المدينة المنورة من قضاة المغرب ، وأول مَنْ مارسه القاضي عبد الله بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن فرحون (ت ٧٦٩ هـ / ١٣٦٧ م) والذي يعود الفضل إليه في إنتشار المذهب المالكي في المدينة المنورة ، وإستمر في خدمته بهذا المنصب لمدة أربعة وعشرين سنة (ابن القاضي ، ١٩٣٤ : ص ٤٩-٥٢) ، فضلاً عن القاضي إبراهيم بن علي بن محمد بن أبي القاسم ابن فرحون (ت ٧٩٩ هـ / ١٣٩٧ م) الذي كان له أثراً كبيراً في تولي قضاة المدينة المنورة وذلك في عام (٧٩٣ هـ / ١٣٩١ م) (ابن القاضي والزركلي ، ١٩٣٤ : ص ٩٧) ، وأحمد بن علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي المكي المالكي الذي ولد عام (٧٥٤ هـ / ١٣٥٤ م) بمكة المكرمة وسمع بها وولي مشيخة الحرم وجاور المدينة المنورة حتى وفاته (السخاوي، د.ت، ص ٣٥) ، ومن فقهاء المالكية كذلك أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد المصمودي الماجري التلمساني (ت نحو ٧٩٠ هـ / ١٣٨٩ م) ، الذي رحل إلى الحجاز وحج ، ودخل المدينة المنورة وأخذ عن علمائها وبعدها عاد إلى مدينة تلمسان (نويهض، ١٩٨٠ : ص ٦٤).

وهناك أسر عملت بهذا الجانب ومنها الأسر الفاسية التي إتخذت من القضاء عملاً مارسه بكل إتقان مثل تقي الدين محمد بن أحمد بن علي بن أبي عبد الله محمد الفاسي الذي ولد بمكة عام (٧٧٥ هـ / ١٣٧٤ م) ونشأ بها وتحول إلى المدينة المنورة وأفتى وحَدَّث في الحرمين الشريفين حتى عام (٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م) عندما ولَّاه الحاكم في الحجاز الناصر فرج قضاء المالكية بمكة المكرمة وإستمر بمنصبه حتى عام (٨٢٠ هـ / ١٤١٨ م) عندما عُزل ثم أُعيد بعد ذلك وإستمر بمنصبه حتى وفاته سنة (٨٣٢ هـ / ١٤٢٩ م) (السخاوي، د.ت: ص ١٨) ، وخليفة بن عبد الرحمن بن خليفة بن سلامة البجائي (ت في القرن ٩ هـ / ١٥ م) (السخاوي ونويهض ، د.ت: ص ١٨٧) ، رحل إلى المشرق وأخذ الكثير من المعارف والعلوم من السخاوي ، ثم أخذ عن قاضي مكة المكرمة ثم سافر بعد ذلك مع بني جبير ليقوم عندهم قاضياً ، والعباس بن محمد (ت ٨٦٤ هـ / ١٤٦٠ م) المكي الشافعي قدم مكة المكرمة وحصل على إجازة بمكة ولمكانته تقلد منصب قاضي جدة عام (٨٥٠ هـ / ١٤٤٧ م) إلا أنه عُزل في العام نفسه (السخاوي ، ١٩٧٩ : ص ٢٨٧-٢٨٨) .

أما فقهاء الحجاز الذين تقلدوا منصب قاضي القضاة فمنهم محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل الكناني الشافعي (ت ٨٦٠ هـ / ١٤٥٦ م) والذي أجاز له أحمد بن عبد القوي البجائي وذلك عام (٨٠٥ هـ / ١٤٠٣ م) وأصبح كذلك نائباً في القضاء والخطابة والإمامة في المدينة المنورة (ابن فهد، ١٩٨٢ : ص ٢٣٢) .

العلاقات السياسية والعسكرية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين

ويمكن القول أن قضية الإفتاء في المسائل الشرعية التي يتزعمها فقهاء المذهب المالكي كانت لها إيجابياتها وآثارها في تمتين الصلات السياسية بين بلاد المغرب والحجاز وأبرز من قام بهذا المنصب وتولاه الفقيه أبو علي عمر بن عبد المحسن الوجعاني (ت نحو ٦٩١ هـ / ١٢٩١ م) وهو من أُمير فقهاء عصره ومن زهاد المالكية ، قرأ بمدينة بجاية ورحل لحج بيت الله الحرام (الغبريني ، ١٩٧٩: ص ٩٢-٩٣) ، والأخوان أبو زيد عبد الرحمن بن التنسي (ت ٧٤٣ هـ / ١٣٤٣ م) ، وأبو موسى عيسى بن التنسي (ت ٧٥٠ هـ / ١٣٥٠ م) ، اللذان ذهبا لأداء فريضة الحج وكان لهما جهوداً مميزة في الإفتاء وبعد عودتهما إلى مدينة تلمسان توليا مناصب الإفتاء والإمامة ، ولا سيما بعد الإستيلاء على مدينة تلمسان بقيادة السلطان أبي الحسن المريني ، إذ قربهما وأسند لهما خطتي الفتوى والشورى (حركات، ٢٠٠٠: ص ٣٦-٤٣) ، ومنهم الفقيه عبد القوي بن محمد بن عبد القوي بن أحمد البجائي (ت ٨١٦ هـ / ١٤١٤ م) الذي ذهب للحجاز وتعلم على مشايخها وأخذ منهم حتى استطاع أن يتولى منصب الإفتاء بمكة المكرمة حتى ذاع صيته بالتفقه والإفادة كثيراً من وجوده هناك مستغلاً خدمته ، وعندما عاد إلى بلده أفتى فيه حتى وصف بأنه كان خير ديناً (العسقلاني ، ١٩٧٢: ص ٢٦) ، وعليه فإن هيبة المذهب المالكي وإزدهاره بين أهل المغرب وتفضيلهم له لما يحتويه من آراء وأفكار ونصوص مستوحاة من الكتاب والسنة من جهة ، ولإعادة الاعتبار للفقهاء المالكيين الذين تعرضوا للمحن أثناء العصر الموحي من جهة أخرى ، كما أن هذا التفضيل يمكن أن نربطه بسلوك المالكيين القضاة والفقهاء الذي كان مثالياً جداً سواء كان بإيمانهم بالله تعالى وعلاقتهم به أو بإحترام وتقدير السلاطين لهم من نقل ديني وعقائدي بين سكان البلاد (الفيلالي ، ٢٠٠٢: ص ٣٨٠) .

الخلاصة والنتائج :

مما تقدم فأننا بالإمكان الوصول إلى بعض النتائج بعد الانتهاء من هذه الدراسة ، بعد توضيح فرضية الدراسة وإشكالياتها :

١- وجدنا بأن فقهاء المذهب المالكي من المغاربة كانوا عاملاً أساسياً في تقوية دعائم المذهب وإزدهاره مرة أخرى تمثلت برحلاتهم للحجاز والتي تركت آثارها على تمتين العلاقات السياسية ساعدها في ذلك التشابه الكبير في طبيعة البداوة التي إعتاد عليها الجانبين ، فضلاً عن بساطة المذهب والتي تلائمت كثيراً مع بساطة أهل المغرب وتحكم المرجعية المالكية في فتاوي الفقهاء السياسية وسلوكياتهم ولا سيما في القرن (التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي) عن طريق مسألة المحاربين ومسائل الإمامة ووجوب إعتزال الفتن وعدم إعانة الخارجين على السلاطين ،

العلاقات السياسية والعسكرية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين

٢- واستنادا لما تقدم إستطاع المذهب المالكي أن يرسم صورة عن التعامل مع النوازل السياسية والسلطين ويضمنها فكر فقهاء المغرب , وهذا ما جعل السبب السياسي عاملاً ودافعاً رئيساً لإنتقال فقهاء هذا المذهب ما بين المغرب والحجاز وتأكيدهم على الجهاد وليس هذا فحسب بل وشاركوا فيه بأنفسهم وكل هذا ساهم في تقوية أواصر العلاقات ما بين الجانبين رسمياً وشعبياً .

المصادر والمراجع :

- ١- أحمد , مصطفى ابو ضيف , أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبنو مرين (٥٢٤ - ٨٧٦ هـ / ١١٣٠ - ١٤٧٢ م) (الدار البيضاء : دار النشر المغربية , ١٩٨٢ م) .
- ٢- برنشيفك , روبر , تاريخ إفريقية في العهد الحفصي , نقله إلى العربية : حمادي الساحلي (بيروت : دار الغرب الإسلامي , ١٩٨٨ م) .
- ٣- بوداود , عبید , تلمسان في مواجهة الحملات الحفصية المرينية , وهران : مجلة عصور , العدد : ٦ - ٧ (وهران , ٢٠٠٥ م) .
- ٤- بوعياذ , محمود آغا , تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعيقان في بيان شرف بني زيان لمحمد بن عبد الله التنسي (الجزائر : موفم للنشر , ٢٠١١ م) .
- ٥- بوناني , الطاهر , التصوف في الجزائر خلال القرن ٦ و ٧ الهجريين / ١٢ - ١٣ الميلاديين (الجزائر : دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع , ٢٠٠٤ م) .
- ٦- التازي , عبد الهادي , التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم (المغرب : مطابع فضالة , ١٩٨٨ م) .
- ٧- ابن تغري بردي , جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) , المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي , تح : نبيل محمد عبدالعزيز , ترجمة : جلال بن أحمد بن يوسف وسعيد بن علي بن رشد (القاهرة : مركز تحقيق التراث , ١٩٨٨ م) .
- ٨- ابن حبيب , الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٨ م) , تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه , حوادث (٦٧٨ - ٧٠٨ هـ / ١٢٧٩ - ١٣٠٨ م) , تح : محمد محمد أمين , مراجعة : سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة : مطبعة دار الكتب , ١٩٧٦ م) .

العلاقات السياسية والعسكرية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز
بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين

- ٩- ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد (٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) ، إنباء الغمر بأبناء العمر ، تح : حسين حبشي ، إشراف : محمد توفيق عويضة (القاهرة : مطابع الأهرام التجارية ، ١٩٧٢ م) .
- ١٠- حركات ، ابراهيم ، المغرب عبر التاريخ (الدار البيضاء : دار الرشاد الحديثة للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٠ م) .
- ١١- الحريري ، محمد عيسى ، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلسي في العصر المريني (٦١٠ هـ / ١٢١٣ م / ٨٦٩ هـ / ١٤٦٥ م) ، ط٢ (الكويت : دار القلم للنشر والتوزيع ، ١٩٨٧ م) .
- ١٢- حسين ، محمد محمد ، الإسلام والحضارة الغربية (د. م : دار الفرقان ، ١٩٧٥ م) .
- ١٣- ابن خلدون ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) ، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، تح : خليل شحاده وسهيل زكار (بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٠ م) .
- ١٤- ابن خلدون ، رحلة ابن خلدون ، عرض : محمد بن تاويت الطنجي ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٤ م) .
- ١٥- الدولاتلي ، عبد العزيز ، مدينة تونس في العهد الحفصي ، ترجمة : محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتلي (تونس : دار سرلس للنشر ، ١٩٨١ م) .
- ١٦- ابن أبي زرع ، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م) ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، إعتني به : محمد بن أبي شنب (الجزائر : مطبعة جول كريونل ، ١٩٢٠ م) .
- ١٧- ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (الرباط : دار المنصور للطباعة والوراقة ، ١٩٧٢ م) .
- ١٨- الزركشي ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (كان حياً نحو ٨٩٤ هـ / ١٤٨٨ م) ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تح : محمد ماضور ، ط٢ (تونس : المكتبة العتيقة ، ١٩٦٦ م) .
- ١٩- الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، ط٧ (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٦ م) .

**العلاقات السياسية والعسكرية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز
بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين**

- ٢٠- السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م) ، التبر المسبوك في ذيل السلوك ، تح : أحمد زكي بك (مصر : المطبعة الأميرية ، ١٨٩٦ م) .
- ٢١- السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (بيروت : دار الجيل ، د. ت) .
- ٢٢- سلامة ، هاني ، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان لابن الأحمر (القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠٠١ م) .
- ٢٣- السلاوي ، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م) ، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تح : جعفر الناصري ، ومحمد الناصري (الدار البيضاء : مطبعة دار الكتاب ، ١٩٥٤ م) .
- ٢٤- الشاهدي ، الحسن ، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني (الرباط : منشورات عكاظ ، ١٩٩٠ م) .
- ٢٥- الشاهري ، مزاحم علاوي ، الحضارة الإسلامية في المغرب (العصر المريني) ، (د. م : مركز الكتاب الأكاديمي ، د. ت) .
- ٢٦- ابن الشماخ ، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٨٦٣ هـ / ١٤٥٩ م) ، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تح : الطاهر بن محمد المعموري (طرابلس : الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٤ م) .
- ٢٧- الضبي ، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٣ م) ، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس (بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٩ م) .
- ٢٨- عامر ، أحمد ، الدولة الحفصية (تونس : دار الكتب الشرقية ، ١٩٧٢ م) .
- ٢٩- العبدري ، محمد بن محمد بن علي بن أحمد البننسي (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م) ، الرحلة المغربية ، تقديم : سعد بوفلافة (الجزائر : مؤسسة بونة للبحوث والدراسات ، ٢٠٠٧ م) .
- ٣٠- ابن عذاري ، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (كان حياً في ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م) ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، نشره وإعتنى بتصحيحه : رينهارت بيتر آن دوزي ، مكتبة صادر (بيروت : مطبعة المناهل ، ١٩٥٠ م) .

العلاقات السياسية والعسكرية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز
بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين

- ٣١- الغبريني ، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت ٧١٤هـ / ١٣١٤م) ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تح : عادل نويهض ، ط٢ (بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٩٧٩م) .
- ٣٢- الفاسي ، تقي الدين محمد بن أحمد بن علي (ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٩م) ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تح : لجنة من كبار العلماء والأدباء (مكة المكرمة : دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٦م) .
- ٣٣- الفاسي ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تح : فؤاد السيد ، ط٢ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ) .
- ٣٤- الفشتالي ، أبي فارس عبد العزيز ، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا ، تح : عبد الكريم كريم (الرباط : مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية ، ١٩٧٢م) .
- ٣٥- ابن فهد ، النجم عمر بن محمد بن محمد (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) ، معجم الشيوخ ، تح : محمد الزاهي ، مراجعة : حمد الجاسر (الرياض : المطابع الأهلية للأوفست ، ١٩٨٢م) .
- ٣٦- فيلالي : عبد العزيز ، تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية ، عمرانية ، إجتماعية ، ثقافية) ، (الجزائر : موفم للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢م) .
- ٣٧- ابن القاضي ، أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي العافية المكناسي (ت ١٠٢٥هـ / ١٦١٦م) ، درة الحجال في غرة أسماء الرجال (الرباط : المطبعة الجديدة ، ١٩٣٤م) .
- ٣٨- القلقشندي ، أبي العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا (القاهرة : المطبعة الأميرية ، ١٩١٥م) .
- ٣٩- القلقشندي ، قلاند الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تح : إبراهيم الإبياري ، ط٢ (بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٢م) .
- ٤٠- ابن قنفذ القسنطيني ، أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب (ت ٨١٠هـ / ١٤٠٧م) ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تح : محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد تركي (تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٦٨م) .
- ٤١- لسان الدين بن الخطيب ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد الغرناطي (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تح : بوزياني الدراجي (الجزائر : دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٩م) .

العلاقات السياسية والعسكرية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز
بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين

- ٤٢- مخلوف ، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم (ت ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م) ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٣٤٩هـ) .
- ٤٣- المطوي ، محمد العروسي ، الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٦م) .
- ٤٤- المقرئ ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (١٠٤١هـ / ١٦٣١م) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تح : إحسان عباس (بيروت : دار صادر ، ١٩٦٨م) .
- ٤٥- المقرئ ، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تح : محمد عبد القادر عطا (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٧م) .
- ٤٦- المنوني ، محمد ، ورقات عن حضارة المرينيين ، ط٣ (الدار البيضاء : مطبعة النجاح الجديدة ، ٢٠٠٠م) ، من حديث الركب المغربي (تطوان : مطبعة المخزن ، ١٩٥٣م) .
- ٤٧- مورتيل ، ريتشارد تي ، الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي (الرياض : عمادة شؤون المكتبات جامعة الملك سعود ، ١٩٨٥م) ، دراسات في تاريخ مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة في العصر الإسلامي الوسيط ، ترجمة وتعليق : محمد بن عبد الله الفريح (الرياض : جامعة الملك سعود ، ٢٠١٥م) .
- ٤٨- ابن مرزوق الخطيب ، أبو عبد الله محمد التلمساني (ت ٧٨١هـ / ١٣٧٩م) ، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تح : ماريّا خيسوس بيغيرا ، تقديم : محمود بوعياذ (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨١م) .
- ٤٩- ابن مرزوق الخطيب ، المناقب المرزوقية ، تح : سلوى الزاهري (الدار البيضاء : مطبعة النجاح الجديدة ، ٢٠٠٨م) .
- ٥٠- المرسي ، أبو بكر بن خطاب الغافقي (ت ٦٣٦هـ / ١٢٣٨م) ، كتاب فصل الخطاب ، تح : أحمد عزوي (الرباط:مطبعة ربات، ٢٠٠٨م) .
- ٥١- نويهض ، عادل ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، ط٢ (بيروت : مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، ١٩٨٠م) .

العلاقات السياسية والعسكرية بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز
بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين

٥٢- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبيد عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي الرومي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) ، معجم البلدان (بيروت : دار صادر ، ١٩٧٧ م) .

٥٣- يحيى بن خلدون ، أبو زكريا يحيى بن أبي بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن (ت ٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م) ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد (الجزائر : مطبعة بيبير بونطانا الشرقية ، ١٩٠٣ م) .

Sources and references:

- ١- Ahmad, Mustafa Abu Dhaif, The Impact of Arab Tribes on Moroccan Life During the Almohad and Bani Marin Era (٥٢٤-٨٧٦ AH / ١١٣٠-١٤٧٢ AD) (Casablanca: Moroccan Publishing House, ١٩٨٢ AD).
- ٢- Princhevik, Robar, An African History in the Hafsid Era, translating it into Arabic: Hammadi Al-Sahili (Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami, ١٩٨٨ AD).
- ٣- Bodaoud, Obeid, Tlemcen in Confronting the Hafsid Marinid Campaigns, Oran: Asour Magazine, Issue: ٦-٧ (Oran, ٢٠٠٥).
- ٤- Boayad, Mahmoud Agha, The History of Bani Zayyan Kings of Tlemcen, an excerpt from the systems of Durr and Al-Aiqan in the statement of the honor of Bani Zayyan by Muhammad bin Abdullah Al-Tansi (Algeria: Movem for Publication, ٢٠١١ AD).
- ٥- Bonani, Al-Taher, Sufism in Algeria during the ٦th and ٧th centuries AH / ١٢-١٣ AD (Algeria: Dar Al-Huda for Printing, Publishing and Distribution, ٢٠٠٤ AD).
- ٦- Al-Tazi, Abd al-Hadi, The Diplomatic History of Morocco from the Ancient Times to Today (Morocco: Fadala Press, ١٩٨٨ AD).
- ٧- Ibn Taghri Bardi, Jamal al-Din Abu al-Mahasin Yusuf (d. ٨٧٤ AH / ١٤٧٠ CE), al-Manhal al-Safi and al-Mustawfi after al-Wafi, edited by: Nabil Muhammad Abdulaziz, translated by: Jalal bin Ahmed bin Youssef and Saeed bin Ali bin Rushd (Cairo: Heritage Investigation Center, ١٩٨٨ AD).

- ^٨Ibn Habib, Al-Hassan bin Umar bin Al-Hassan bin Umar (d. ٧٧٩ AH / ١٣٧٨ AD), the reminder of the Prophet in the days of Al-Mansur and his sons, incidents (٦٧٨-٧٠٨ AH / ١٢٧٩-١٣٠٨ AD), edited by: Muhammad Muhammad Amin, reviewed by: Saeed Abdel-Fattah Ashour (Cairo: Dar Al-Kutub Press, ١٩٧٦.
- ^٩Ibn Hajar al-Asqalani, Shihab al-Din Ahmad bin Ali bin Muhammad bin Muhammad bin Ali bin Ahmad (٨٥٢ AH / ١٤٤٨ AD), Anbaa al-Ghamr by the Sons of Omar, edited by: Hussein Habashi, supervised by: Muhammad Tawfiq Awida (Cairo: Al-Ahram Commercial Press, ١٩٧٢ AD.)
- ^{١٠}Harakat, Ibrahim, Morocco Throughout History (Casablanca: Dar Al-Rashad Modern House for Publishing and Distribution, ٢٠٠٠ AD.)
- ^{١١}Hariri, Muhammad Issa, History of the Islamic Maghreb and Andalusia in the Marinid Era (٦١٠ AH / ١٢١٣ AD / ٨٦٩ AH / ١٤٦٥ AD), ٢nd Edition (Kuwait: Dar Al-Qalam for Publishing and Distribution, ١٩٨٧ AD.)
- ^{١٢}Hussein, Muhammad Muhammad, Islam and Western Civilization (Dr. M: Dar Al-Furqan, ١٩٧٥ AD.)
- ^{١٣}Ibn Khaldun, Abu Zayd Abd al-Rahman bin Muhammad al-Hadrami (d. ٨٠٨ AH / ١٤٠٦ AD), Ibn Khaldun's history called the Lessons and the Diwan of the Beginner and the News in the History of the Arabs and the Berbers and their Contemporaries with the Greatest Authority, edited by: Khalil Shehadeh and Suhail Zakkar (Beirut: Dar Al-Fikr Printing Publishing and distribution, ٢٠٠٠ AD.)
- ^{١٤}Ibn Khaldun, The Journey of Ibn Khaldun, presented by: Muhammad bin Tawit Al-Tanji, ١st edition (Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, ٢٠٠٤ AD.)
- ^{١٥}Al-Dawlatli, Abdel Aziz, the city of Tunis during the Hafsi era, translated by: Muhammad Al-Shabi and Abdel Aziz Al-Dawlatli (Tunisia: Sarles Publishing House, ١٩٨١ AD.)

- ^{١٦}Ibn Abi Zaraa, Abu al-Hasan Ali ibn Abdullah al-Fassi (d. ٧٤١ AH / ١٣٤٠ CE), the Sunni repertoire in the history of the Marinid state, take care of him: Muhammad ibn Abi Shanab (Algeria: Jules Carbonell Press, ١٩٢٠ AD.)
- ^{١٧}Ibn Abi Zar', Al-Anis al-Mutreb in Rawd al-Qirtas in the news of the kings of Morocco and the history of the city of Fez (Rabat: Dar al-Mansur for printing and paper, ١٩٧٢ AD.)
- ^{١٨}Al-Zarkashi, Abu Abdullah Muhammad bin Ibrahim (he was alive around ٨٩٤ AH / ١٤٨٨ AD), History of the Almohad and Hafsid states, edited by: Muhammad Madour, ٢nd edition (Tunisia: Al-Maktaba Al-Atiqah, ١٩٦٦ AD.)
- ^{١٩}Al-Zarkali, Khair Al-Din, Al-Alam, ٧th edition (Beirut: Dar Al-Ilm for Millions, ١٩٨٦ AD.)
- ^{٢٠}Al-Sakhawy, Shams al-Din Muhammad bin Abd al-Rahman bin Muhammad bin Abi Bakr bin Othman (d. ٩٠٢ AH / ١٤٩٦ AD), the molded donations at the tail of the behavior, edited by: Ahmed Zaki Bey (Egypt: Al-Mataba'a Al-Amiriyyah, ١٨٩٦ AD.)
- ^{٢١}Al-Sakhawi, The Bright Light of the People of the Ninth Century (Beirut: Dar Al-Jil, Dr. T.)
- ^{٢٢}Salama, Hani, The History of the Zayani State in Tlemcen by Ibn al-Ahmar (Cairo: Religious Culture Library, ٢٠٠١ AD.)
- ^{٢٣}Al-Salawi, Abu Al-Abbas Ahmed bin Khaled Al-Nasseri (d. ١٣١٥ AH / ١٨٩٧ CE), Investigation of the news of the Far Maghreb countries, edited by: Jaafar Al-Nasseri, and Muhammad Al-Nasseri (Casablanca: Dar Al-Kitab Press, ١٩٥٤ CE.)
- ^{٢٤}Al-Shahdi, Al-Hassan, Travel Literature in Morocco in the Marinid Era (Rabat: Okaz Publications, ١٩٩٠ AD.)
- ^{٢٥}Al-Shahri, Muzahim Allawi, Islamic Civilization in Morocco (The Marinid Era), (Dr. M: Academic Book Center, Dr. T.)

- ٢٦ Ibn Al-Shama'a, Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad (d. ٨٦٣ AH / ١٤٥٩ AD), Clear Evidence for the Glory of the Hafsid Dynasty, edited by: Al-Taher bin Muhammad Al-Ma'mouri (Tripoli: The Arab Book House, ١٩٨٤ AD.)
- ٢٧ Al-Dhabi, Ahmed bin Yahya bin Ahmed bin Amira (d. ٥٩٩ AH / ١٢٠٣ AD), in the view of the petitioner in the history of the men of the people of Andalusia (Beirut: The Lebanese Book House, ١٩٨٩ AD.)
- ٢٨ Amer, Ahmed, The Hafsid State (Tunisia: Dar Al-Kutub Al-Sharqiya, ١٩٧٢ AD.)
- ٢٩ Al-Abdari, Muhammad bin Muhammad bin Ali bin Ahmed Al-Balansi (d. ٧٢٥ AH / ١٣٢٥ AD), The Moroccan Journey, presented by: Saad Boufalafa (Algeria: Bouna Foundation for Research and Studies, ٢٠٠٧ AD.)
- ٣٠ Ibn Adhari, Abu al-Abbas Ahmad ibn Muhammad al-Marrakshi (he was alive in ٧١٢ AH / ١٣١٢ CE), Al-Bayan al-Maghrib fi Akhbar al-Andalus and al-Maghrib, published and corrected by: Reinhart Peter Ann Dozy, Sader Library (Beirut: Al-Manahil Press, ١٩٥٠ AD.)
- ٣١ Al-Ghabrini, Abu Al-Abbas Ahmed bin Ahmed bin Abdullah (d. ٧١٤ AH / ١٣١٤ AD), the title of Know-how among the scholars known in the seventh century in Bejaia, edited by: Adel Noueihed, ٢nd edition (Beirut: New Horizons House, ١٩٧٩ AD.)
- ٣٢ Al-Fassi, Taqi al-Din Muhammad ibn Ahmad ibn Ali (d. ٨٣٢ AH / ١٤٢٩ CE), Healing Love with the News of the Sacred Country, edited by: a committee of senior scholars and writers (Makkah: Dar Ihyā al-Kutub al-Arabiyyah, ١٩٥٦ CE.)
- ٣٣ Al-Fassi, The Precious Contract in the History of Al-Balad Al-Amin, edited by: Fouad Al-Sayed, ٢nd edition (Beirut: Al-Risala Foundation, ١٤٠٥ AH.)
- ٣٤ Al-Fashtali, Abi Faris Abdel-Aziz, Manahil Al-Safa in the exploits of our honorable loyalists, edited by: Abdul-Karim

- Karim (Rabat: Publications of the Ministry of Awqaf and Islamic and Cultural Affairs, ١٩٧٢ AD.)
- ٣٥ Ibn Fahd, Al-Najm Omar bin Muhammad bin Muhammad (d. ٨٨٥ AH / ١٤٨٠ AD), Mu'jam Al-Shuyukh, edited by: Muhammad Al-Zahi, reviewed by: Hamad Al-Jasser (Riyadh: Al-Ahly Offset Press, ١٩٨٢ AD.)
- ٣٦ Filali: Abdel Aziz, Tlemcen in the Zayani era (a political, urban, social, and cultural study), (Algeria: Mufm for Publishing and Distribution, ٢٠٠٢.)
- ٣٧ Ibn Al-Qadi, Ahmed bin Muhammad bin Ahmed bin Abi Al-Afia Al-Meknasy (d. ١٠٢٥ AH / ١٦١٦ AD), Durrat Al-Hajal in the Surprising Names of Men (Rabat: The New Press, ١٩٣٤ AD.)
- ٣٨ Al-Qalqashandi, Abi Al-Abbas Ahmed bin Ali (d. ٨٢١ AH / ١٤١٨ CE), Subh Al-Asha in the creation industry (Cairo: Al-Mataba' Al-Amiriyyah, ١٩١٥ CE.)
- ٣٩ Al-Qalqashandi, Qalayed Al-Juman in Defining the Tribes of the Arabs of Time, edited by: Ibrahim Al-Abiyari, ٢nd edition (Beirut: The Lebanese Book House, ١٩٨٢ AD.)
- ٤٠ Ibn Qunfuth al-Qasantini, Abu al-Abbas Ahmad ibn Husayn ibn Ali ibn al-Khatib (d. ٨١٠ AH / ١٤٠٧ CE), Persian in the Principles of the Hafsid State, edited by: Muhammad al-Shazli al-Naifer and Abd al-Majid Turki (Tunisia: The Tunisian Publishing House, ١٩٦٨ AD.)
- ٤١ Lisan al-Din ibn al-Khatib, Abu Abdullah Muhammad ibn Abdullah ibn Abdullah ibn Saeed ibn Ali ibn Ahmad al-Gharnati (d. ٧٧٦ AH / ١٣٧٤ AD), Briefing in Granada News, edited by: Bouziani al-Daradji (Algeria: Dar Al-Amal for Studies, Publishing and Distribution, ٢٠٠٩ AD.)
- ٤٢ Makhlof, Muhammad bin Muhammad bin Omar bin Qasim (d. ١٣٦٠ AH / ١٩٤١ AD), the pure tree of light in the layers of the Malikis (Cairo: The Salafi Press, ١٣٤٩ AH.)
- ٤٣ Al-Matawi, Muhammad Al-Arousi, Al-Hafsia, its political history and its role in the Islamic Maghreb (Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami, ١٩٨٦ AD.)

- ٤٤ Al-Maqri, Shihab al-Din Ahmad ibn Muhammad al-Talmisani (١٠٤١ AH / ١٦٣١ CE), Nafah al-Tayyib from the moist branch of Andalusia, edited by: Ihsan Abbas (Beirut: Dar Sader, ١٩٦٨ CE.)
- ٤٥ Al-Maqrizi, Taqi al-Din Abi al-Abbas Ahmed bin Ali bin Abdul Qadir (d. ٨٤٥ AH / ١٤٤١ AD), behavior to know the states of kings, edited by: Muhammad Abdul Qadir Atta (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiya, ١٩٩٧ AD.)
- ٤٦ Al-Mununi, Muhammad, Papers on the Civilization of the Marinids, ٣rd edition (Casablanca: An-Najah New Press, ٢٠٠٠ AD), from the hadith of the Moroccan knees (Tetuan: Al-Makhzen Press, ١٩٥٣ AD.)
- ٤٧ Mortel, Richard T, The Political and Economic Conditions in Makkah in the Mamluk Era (Riyadh: Deanship of Library Affairs, King Saud University, ١٩٨٥ AD), Studies in the History of Makkah Al-Mukarramah, Al-Madinah Al-Munawwarah, and Jeddah in the Middle Islamic Era, translation and commentary: Muhammad bin Abdullah Al-Furaih (Riyadh King Saud University, ٢٠١٥ AD.)
- ٤٨ Ibn Marzouq al-Khatib, Abu Abdullah Muhammad al-Talmisani (d. ٧٨١ AH / ١٣٧٩ CE), al-Musnad al-Sahih al-Hasan in the exploits and virtues of Maulana Abi al-Hasan, edited by: Maria Jesus Bigera, presented by: Mahmoud Bouayad (Algeria: The National Company for Publishing and Distribution, ١٩٨١ CE.)
- ٤٩ Ibn Marzouq Al-Khatib, Al-Manaqib Al-Marzouqia, edited by: Salwa Al-Zahri (Casablanca: New An-Najah Press, ٢٠٠٨.)
- ٥٠ Al-Mursi, Abu Bakr bin Khattab Al-Ghafiqi (d. ٦٣٦ AH / ١٢٣٨ AD), Book of Fasl Al-Khattab, edited by: Ahmed Azawi (Rabat: Rabant Press, ٢٠٠٨ AD.)
- ٥١ Noueihed, Adel, Lexicon of the Flags of Algeria from the Beginning of Islam to the Present Era, ٢nd edition (Beirut: Nouwayhed Cultural Foundation for Writing, Translation and Publishing, ١٩٨٠ AD.)
- ٥٢ Yaqut Al-Hamawi, Shihab Al-Din Abu Obaid Abdullah Yaqut bin Abdullah Al-Baghdadi Al-Roumi (d. ٦٢٦ AH / ١٢٢٨ AD), Mu'jam Al-Buldan (Beirut: Dar Sader, ١٩٧٧ AD.)

- ٥٣- Yahya bin Khaldoun, Abu Zakariya Yahya bin Abi Bakr Muhammad bin Muhammad bin Muhammad bin Al-Hassan (d. ٧٨١ AH / ١٣٧٩ AD), in order to mention the kings from Bani Abd al-Wad (Algeria: Pierre Bountana Oriental Press, ١٩٠٣ AD.)